

صوت الدين لا صوت لهم
الصفحة الأولى أخبار لبنان عربي ودولي اقتصاد رياضة الأرشيف بحث
ثقافة صوت وصورة قضايا وأراء كتاب السفير رسم الصفحة الأخيرة هذا الأسبوع زاوية القارئ

معرض مزدوج لأكرم زعتري في مركز بيروت للفن وغاليري صغير - زملر

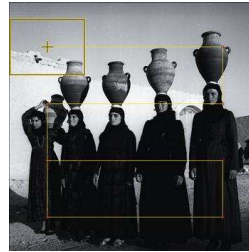
الحرب والمقاومة والسجن الإسرائيلي.. الكاميرا ترسم الخارطة وتؤلف التاريخ

احمد بزوب

لماذا عاد أكرم زعتري إلى مقاوم من الحزب الشيوعي اللبناني، اعتقل العام 1986 وأطلق سراحه العام 1998، هل لأن تاريخ المقاومة الوطنية قد طمرته المقاومة الإسلامية، فأراد نبشها وتعييمه من خلال نموذج هو نبيه عواضة؟ وهل نبش التاريخ وتعييم وقائعه عبر الصورة الفوتوغرافية يساهم في تلميعه، فيؤدي إلى هز الواقع من جديد؟ وهل صور مناطق شيعا والهبارية الحدودية يؤدي الدور نفسه؟ ثم هل نستطيع أن نقدم صور المأساة والحروب بصيغ جمالية تتخطى هدف الأرشيف والإحصاء وتقديم مادة غنية للباحثين؟ أهم ما في معرض أكرم زعتري «أرض تكتنفها الأسرار» أنه محرك للأسئلة، التي تتناوب مع تجوالنا بين صور المعرض المتنوعة. بل إن كل معرض فوتوغرافي يستقي مبره من مشروع «المؤسسة العربية للصورة»، التي يعتبر زعتري أحد مؤسسيها الأساسيين، بعيدنا بالضرورة إلى أهمية هذا المشروع الذي أنشئ في بيروت العام 1997، ولا يزال ينمو يوماً بعد يوم، بهدف إعادة تشكيل الذاكرة العربية، عبر جمع الصور الفوتوغرافية وتوثيقها ودراستها من قبل الباحثين، ما يؤدي بالتالي إلى تثبيت حقائق أعفلها المؤرخون وطمرتها السلطات، وتقاضي عنها المجتمع.



اليوم رسائل نبيه عواضة



بديوات في المعرض

موزع بين مركز بيروت للفن (الجسر الواطي) وغاليري صغير - زملر (الكرنتينا)، حمل العنوان نفسه «أرض تكتنفها الأسرار»، نلاحظ ذلك الجهد الذي يبذله الفنان من أجل كشف تلك الأسرار التي يوميئ إليها عبر عنوانه الأساسي، بل من أجل «كتابة لزمى مؤخر»، حسب العنوان الفرعي الذي حملته الجزء الأول من معرضه في مركز بيروت للفن. فالصورة تستمر، كما الكلمة، بالتأثير في أجيال مقبلة وزمن مقل.

في الجزء الأول من معرضه ركز زعتري على شخصية مقاوم لبناني، انخرط في المقاومة قبل بلوغه الثامنة عشرة من عمره، هو نبيه عواضة، من بلدة عيترون جنوب لبنان، الواقعة على الحدود مع إسرائيل. ما يوشر أولاً، قبل موضوع حمل السلاح والانخراط في عمليات المقاومة ضد العدو، إلى انفطار الجنوبيين على كره إسرائيل منذ الصغر، واستعدادهم الطبيعي لمقاومتها فور ما يقوى عودهم.

كشفت اللامرئي
إذاً، نحن في هذا المعرض أمام سرد قصة، تبدأ باعتقال مقاوم، وتنتهي بالإفراج عنه. قصة يفصلين اثنين، الأول حمل عنوان «حديقة نبرودا»، ويضم 15 صورة فوتوغرافية تركز على صعوبة التواصل بين الأسير وأهله، عبر رسائل مراقبة، وفيها الكثير من المتنوعات، رسائل يجب أن تكون «نظيفة» كي يستطيع الصليب الأحمر نقلها إلى ذوي المعتقل ومنهم. فنبرودا هو الاسم الحركي لعواضة، وحديقته في المعتقل كانت تلك الرسائل التي غالباً ما كانت مزينة برسوم ورود وازهار، تبقى أحياناً عندما يمحي الجبر، ولا بأس بالنسبة إلى زعتري فرود الرسائل أكثر إنباء باللهجة التي تطفح بها الرسائل عادة، خصوصاً رسائل مقاوم بريد أن يحافظ على معنويات عالية لدى أهله وأصدقائه، أما الفصل الثاني من القصة فحمل عنوان «اللامرئي»، يضم 48 صورة لأسرى آخرين من دول عربية مختلفة، راقفوا عواضة في أسرهم وكتبوا له. كل صورة مرفقة برسالة، أو بضع جمل، تحمل نحية هذا المقاوم أو ذاك لعواضة، وأحياناً لجزبه. كما يشتمل على شريط فيديو بصور عواضة وهو منكب على كتابة رسالة إلى سمير القنطار، عميد المعتقلين، قبل أن يخرج من سجنه، ما يذكر بأسلوب كتابة الرسائل السرية التي كان السجناء يبعثون بها إلى زملائهم، أو إلى أحزابهم، وبالعكس. الرسائل التي تكتب بخط صغير جداً، وتلف بأغلفة نابلون صغيرة الحجم، يتلعلها السجناء في يوم الإفراج عنه لينقلها إلى من يهيمه الأمر.

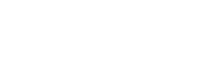
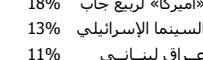
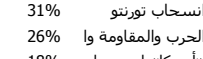
يتعدى اللامرئي هنا ما يكمن في الصورة وخلفها، كما يتعدى السري والمسكوت عنه، ليشير إلى أهمية الصورة الفوتوغرافية المرئية في كشف ما هو غير مرئي، ليس بشكله المباشر، إنما بشكل يسمح لنا في التعامل مع الصورة كمادة للتحليل واكتشاف ما لم يكتشفه الآخرون فيها، وربما ما لم يكتشفه فيها أصحابها أيضاً. فالمتنقل بين صور الأسرى الثمانية والأربعين، قد يكتشف صفات المقاوم، وانطباعاته، وعلاقته بشكله، والوجه الذي يريد أن يظهر به للناس، وما إلى ذلك من سلسلة المفارقات التي تنتج عن نبش شخصية ما.

في الجزء الثاني من معرضه، لا يبدو زعتري مصراً على شخصية مركزية، كما في الجزء الأول، وقد قسم معرضه إلى أربعة فصول متمحورة حول أربعة أفلام له من أصل حوالي 12 فيلماً هي محصلة ما أنتجه منذ العام 1997، تاريخ إطلاق فيلمه الأول «الشريط بخير»، وهو أول الأفلام التي اعتمد عليها في هذا المعرض، أما الأفلام الثلاثة الأخرى فهي «اليوم»، «في هذا البيت» و«طبيعة صامتة».

في فيلمه الأول تابع زعتري قصص المقاومة الوطنية، لا سيما في جنوب لبنان والضاحية الجنوبية. في المعرض ثلاث شخصيات خارجة من السجن الإسرائيلي، في فيلمه الثاني يقدم جغرافيا الشرق الأوسط ووسائل الاتصال، وحياة الصحراء، ويعرض صوراً لبدو في الصحراء، وجمال وسيارة قديمة متعطلة أمام خيمة. في فيلمه الثالث بحث عن رسالة مدفونة في عيوقة قديمة صاروخية، عيوه دفنها مقاوم هو علي حشيشو، حفر زعتري لإخراجها من مدفونها وسط رية الجبران وحشيرية آخرين وتحقق رجال الأمن معه في ما بعد. يعرض زعتري صورة العيوه مع التراب العالق بها. في الفيلم الرابع رحلات، كبير وشباب، في مشهد ليبي، بديرات عملية عيوه بواسطة عيوه متفجرة، وفي المعرض صور لمساحات واسعة من منطقة العرقوب، خصوصاً شيعا والهبارية، حيث تركزت عمليات المقاومة في زمن مضى.

طبيعة غير صامتة
ما يلفتنا في هذا المعرض الصور الفوتوغرافية الكبيرة لشيعا والهبارية، حيث يختار لحظة فائتة وكادراً فيه من الجبال والوديان ما يجعل الأبعاد داخل الصورة تسخر العين، ناهيك عن أن تقنية الطباعة التي اعتمد فيها أسلوب «البيت الضوئي»، جعلت التفاصيل على جانب كبير من الدقة والوضوح، خصوصاً أن الليزر عامل مهم فيها، بل إن هذه التقنية تقدم صورة على درجة عالية من القوة، وقد كان لتناج هذه التقنية المنفذة في ألمانيا، أن تبرز بجلاء أكثر في هذه اللوحات أكثر من سواها، وقد أراد فيها ألا يحضر المشهد الطبيعي بكونه مادة توثيقية، وإنما مادة للتلميح إلى أن أرضاً تحولت إلى ذاكرة مقاومة مرت بها ذات يوم، فالأرض المصورة ليست خاماً، إنما مساحة تسبدو فيها الندوب والطرقان القديمة والحديثة والأحزان المبيتة، ما جعل «الطبيعة الصامتة» غير صامتة أبداً.

قد ينطبق هدف الأرشيف على الصور الفوتوغرافية التسع التي عرضها الفنان زعتري، وفيها مشاهد من القصف



الإسرائيلي لمناطق مجاورة لصيدا العام 1982، وقد أتت اللقطات من الناحية الفنية عادية، بعيدة عن البحث عن كادر فني، حيث كان مصورها في ذلك الحين ابن 16 سنة. وقد عوض عن النقص الفني فيها، بتقديم فيلم فيديو قصير لصور مركبة، بمونتاج حركي، ثم أضاف إليها صوت انفجار القذائف الصاروخية والمدفعية الذي يتردد مع التلاعب بالصور. يوميات زعتري حاضرة أيضاً، من خلال دفتر يوميات صور للمعرض مقتطفات منه تعود إلى بدايات الثمانينيات، ليؤكد اهتمامه المبكر بحفظ التاريخ، واندماج الصورة بالنص، أو تحويل النص نفسه إلى صورة. وليضعنا أمام مهمة الصورة وهي الحفر الدائم في الزمن، أو مهمة الفنان الذي لا يكتفي، كما فعل في نبش رسالة حشيشنو، بإقامة حفريات في الأرض، إنما إقامة حفريات في الزمن والمخيلة، فتغدو الصورة واحدة من التحف التي علينا نبشها من زمن مضى، أو صناعتها لزمن مقبل. والفنان زعتري الذي صور الجزء الأكبر من المعرض بنفسه، اعتمد أيضاً على صور آخرين، اشتغل عليها، وأعاد إنتاجها لتفي بالفرض الذي يصبو إليه.

يبقى أن نسأل لماذا معرض في صالتين معاً، هل هو مجرد توسيع لمساحة العرض، أم أنه توزيع للإنتاج؟ ثم هل مثل هذه المعارض التي تنتمي إلى الفن المعاصر جاذبة للجمهور حتى يكون ذلك سبباً لإطالة أمد المعرض ليصل إلى أكثر من ثلاثة شهور، بخلاف ما هو معروف عندنا أن متوسط مدة المعارض هي 15 يوماً فقط؟ ثم هل مثل هذه المعارض تستهوي زبائن الأعمال الفنية؟ حملنا أسئلتنا هذه في مناسبة معرض زعتري الذي سبق وعرض في الصالة نفسها، سألتنا ناتالي خوري، صاحبة غاليري صفيح - زملر، التي أكدت لنا أن معدل زيارات المعرض يومياً يبلغ حوالي عشرين زائراً. أما عن خصوصية هذا المعرض بطول مدته، فالسبب، كما قالت، هي كلفة إنتاجه العالية، حيث طبعت الأعمال ووضعت في أطرها في ألمانيا، وشحنت من هناك إلى بيروت، وهذا يرفع كلفتها. وقالت خوري إن الغاليري ساهم بجزء أساسي من الإنتاج، إلى جانب كونتفيرايين ميونخ ومركز بيروت للفن، وقد تم عرض الأعمال في ميونخ قبل بيروت في آذار الماضي. فالعرض لمدة طويلة قد يسمح بالبيع أكثر، وأمر الغاليري مختلف عن أمر مركز بيروت للفن، إذ تهتم الغاليري ببيع الأعمال لتعويض كلفة الإنتاج، وقالت خوري إن بيع الأعمال المعاصرة ليس سهلاً، لكنه يحصل عندنا بقدر معقول.

أحمد بزون

SHARE



اقرأ للكاتب نفسه

- حوار رشيق بين الراقصة والمومياء 02/09/2009
- رمضان كريم 01/09/2009
- حجرة العار 25/08/2009
- ألوان القسوة 19/08/2009
- لبننة المهرجانات؟ 18/08/2009